مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (عدد خاص) 2022 ص ص 798-806

الاسهامات الفكرية والعلمية لعلماء تلمسان الزيانية

سعيد بن محمد العقباني التلمساني، تـــ811هـــ/1408م-أنموذجاً

The Intellectual and Scientific Contributions of Tlemcen Zianids' Scholars :

SAID Ben Mohammed El Okbani El- Tilimsani, d. 811 AH/1408 AD as Model

هادي جلول*

جامعة عين تموشنت " بلحاج بوشعيب (الجزائر).

البريد الالكتروني: hadidjelloul@yahoo.fr

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/01/13	2022/04/13	2022/04/16

الملخص: ان دراسة الشخصيات التاريخية والتعريف بها، يعد من الأعمال التي يسعى دارسوها الى الكشف عن أدوارها البارزة، والفعالة في مختلف نواحي الحياة السياسية والثقافية، ومن المفارقات التاريخية ان الحياة الفكرية في عاصمة بني زيان "تلمسان" لم تأخذ مجرى الحياة السياسية، فقد شهدت حركة علمية في الكثير من فنون العلم والمعرفة، وظهر عدد هائل من العلماء الذين تركوا لنا تراثاً سنظل الأجيال تتوارثه جيل بعد جيل، ومن بين هؤلاء الشيوخ الذين ذيع صيتهم في حواضر مدينة تلمسان وخارجها العلامة أو عثمان سعيد بن محمد العقباني التلمساني.

الكلمات المفتاحية: تلمسان ؛ بني زيان ؛ العلماء ؛ الحياة السياسية ؛ الحياة الثقافية.

Abstrat: The study of historical figures and introducing them is one of the research works in which scholars seek to reveal the prominent and the effective roles played by those historical figures in various aspects of political and cultural life. This was the case in the capital of Zianides "Tlemcen", in which the focus was not only on political life but also on the intellectual and the cultural aspects of life. It witnessed movement in several sciences and arts. Huge number of scholars appeared and left a heritage that generations will continue to pass on from one to another. Among the scholars called also "cheikhs" who were well-known in Tlemcen city and even out of it Alama Abu Othmane Said ben Mohamed El-Okbani El-Tlemcani.

Keywords: *Tlemcen; Beni Zian scientists; Political life cultural life*

* **المؤلف المرسل**

مقدمة:

لا يخفى أن الدراسة التاريخية للأعلام يتطلب التعرف على نتائجهم العلمية، والكشف على مناهجهم الفكرية، وجوانب الإبداع عندهم، ومواليهم، وأسرار عبقرتهم ضمن منظور علمي عال، وسط الأحداث المحيطة بهم، مع إظهار الأثر الذي خلفوه في جيلهم، ومن بعدهم، وعليه فإن بيان الحقيقة وسط زحمة فكرية، وركام من الآراء طريق وعرة ملتوية، والتدوين للفكر ضرب من المعاناة قدر صعوبته المفكرون، ومن الأسماء اللامعة التي أسهمت في إثراء التراث الفكري بتلمسان، وحواضرها، وحتى خارج جغرافية المغرب الأوسط، سعيد بن محمد العقباني الذي سأحاول أن ابين من خلال هذا المقال المتواضع بعض من إنجازاته، ومواقفه، ومكانته العلمية بين طلبة العلم آنذاك، وشيوخه الذين أخذ عنهم فنون العلم، والمعرفة، ما الأثر الذي تركه في الكثير من تلامذته سواء داخل تلمسان، أو خارجها؟

1. مولده ونشأته:

ولد أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني التلمساني التيجبي بمدينة تلمسان سنة (720هـــ /1320م) وحفظ القرآن الكريم في صغره، وأنكّب على الدرّاسة وتعلم العلوم والمعارف العربية الإسلامية كالنحو والصرف، والبلاّغة، والتفسير، والفقه، والحديث، والأصـــول على عـــلماء أجـــلاء (ابن فرحون، 1996، ص240)، والعقباني نسبة لعقبان قرية من قرى الأندلس أصله منها تجيبي النسب إمام فاضل، لا ندري بالضبط متى هاجرت أسرته إلى تلمسان، ولكن يبدو أن ذلك تم في فترة الاضطرابات التي عمت البلاد الأندلسية، بعد أن استفحل خطر النصارى الأسبان، وعندما استقر بها المقام بتلمسان، اشتغلت بالعلم والثقافة على غرار الأسر العلمية الأخرى التي برزت في هذه الفترة خلال القرن الثامن، حلاه ابن صعد" هو الفقيه العلامة خاتمة قضاة العدل بتلمسان" وهو أول القبانيين بتلمسان واليه ينتسبون (الحفناوي، 1906، ص159) هو أول نجباء بيته، ذو نبل

ونباهة ودراية (يحي ابن خلدون، 1980، ص 126)، إمامها وعالمها النظار المتحلي بالوقار الفقيه المتفنن في علوم شتى، الإمام الفاضل العمدة المحقق الكامل (ابن مخلوف، 1349، ص250)، وبعد أن تضلع في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية الأدبية والدينية، تصدى للتدريس في مساجد تلمسان وفي عدة مدن أخرى كبجاية ووهران وسلا ومراكش، تولى منصب القضاء في هذه المدن كلها وبقى في هذا المنصب أكثر من أربعين عاما (بوعزيز، 2003، ص150) ، يمتاز شيخنا الجليل بصفات عالية نادرة تدل على النبوغ، والعبقرية، والملكات الفكرية، والذهن الثاقب، ومن صفاته الورع، والصّمت وقلة الضحك، وملازمة النظر، فقد كان طويل الفكرة، وكثير العبرة (الأنصاري، 1967، ص114).

2. شيـــــوخـــه:

استفاد سعيد العقباني من النشّاط العلمي، الذّي عرفته مدن الدوّلة الزيّانية، والمطلع على طريقة التعليم، في العهد الزياني (حاجيات، 1984، ص437) ، فتفقه على ابني الإمام أبي زيد عبد الرّحمن (تـــ 7743هـــ)، وأبي موسى عيسى (تـــ 749هـــ) ودرس عليهما، عدّة كتب في الفقه والحديث (ابن مريم، 1986، ص126) ، وكان هذان العالمان من أجّلة العلماء وبقية السلف، كما لم يكن في زمانهم أعظم منهما قدراً ولا ذكراً، ولازم سعيد العقباني مجلسهما وسمع لهما وتفقه في مدرستهما (حساني، 1999، ص142)، ودرس علم الأصول على أبي عبدا لله محمد بن إبراهيم الآبلي، وتضلع فيه وفي الفقه والحديث حتى أصبح من الفقهاء المبرزين في مذهب الإمام مالك (بوعزيز، 2003، ص150) ، ودرس علم الفرائض وتفسير التركات على الحافظ السطي، وروى كتاب البخاري والمدونة في الحديث (ابن مريم، 1986، ص106)، وتذكر المصادر التاريخية أن المشدالي (تـــ 731هـــ) درس على يد شيخنا الجليل (ابن قنفد، 1983، ص343) الذي جاء بدوره إلى تلمسان بطلب من الأمير أبو تاشفين الأول (التنسي، 1985،

ص139)، فقربه وأحسن إليه، فتولى مهمة التدريس، ومن العلوم، التي درسها في تلمسان علم الحديث، والفقه والفرّائض، والمنطق والجدل، تتلمذ عليه جمّ غفير من العلماء، قرأ الفرائض وتقسيم التّركات على يد الشيّخ المحقّق، الفرضي المدقق على الحافظ السطي (ابن القاضي، 202، ص201)، ورّوى البخّاري والمدونة عن السلطان أبي عنان المريني (الحريري، 1987، ص 125) واخذ من تونس على يد الشّيخ والإمام أبو عبد الله محمد بن عبد السّلام التوّنسي، (ابن خلدون، 2004، ص39) خاصة في النحو واللغة، وربما درس على يده كتاب الأعراب عن شواهد الإعراب، و" كتاب مغني اللبيب عن الكتب الأعاريب لابن هشام" و" كتاب النحو لسيبويه والألفية والتسهيل لابن مالك"، ولا نستبعد الطريقة التي اعتمدها شيوخ العقباني في سير الدرس، هي طريقة الإلقاء، والشرح ثم يقوم أحد الطلبة النجباء بقراءة النص من الكتاب المشهور في المادة المدروسة، ويتولى أستاذه شرحه فقرة بعد فقرة، أما الطريقة التي سار عليها المدرسون للمواد العددية، فكانت تعتمد على الكتابة في اللوح أوالورق لإثبات التمارين الحسابية واستخدام الحساب الذهني، وهو الحساب الهوائي لمعرفة كيفية حساب الأموال في الخيال بلا كتابة، وما يمكن القول عن العلامة الفهامة العقباني أنه قد ساهمت عوامل عديدة وتوفرت له شروط في تكوين شخصّيته، لعّل أهمها الكوكبة من الشيّوخ الفطاحل، الذين تعرف عليهم، في مشواره لطلب العلم، ورغبّة الشّديدة في المعرفة، والعلوم المختلفة.

3. تـــلامـــيذه:

بلغ الشيّخ سعيد العقباني مرتبة عالية في تحقيق العلوم، فصـــار مـــن المنطقـــي أن يتخرج عليه ثلة من العلماء، الذين كانوا في زمانه وبعد ذلك أئمـــة، وُصـــفوا بـــالمحقّقين والمجتّهدين، وبمشايخ الإسلام، وفيما يلي ذكر لبعضهم، قاسم بن سعيد بن محمد العقبـــاني التلمساني التجيبي (التنبكتي، 1989، ص 365) ، أبو القاسم، ويكنى بأبي الفضل (768ـــ 854هـــ)، وهو ابن الإمام سعيد العقباني.

أخذ عن والده الإمام وغيره، وحصّل العلوم، حتىّ وصل درجة الاجتهاد، ولـــي القضـــاء بتلمسان في صغره، ورأى أمله من ذريته في كبره، وأحرز في العلـــوم قصـــب الســـبّق وحازه، وقطع فيه صدر العمر، واستقبل أعجازه، عكف على تعلـــيم العلـــوم، وتـــدريس المعدوم منها والمعلوم، فأفاد الأفراد وأمتع جهابذة النقاد، وأسمع كل الأسماع مـــا أشّـــتهى وأراد (التنبكتي، 1989، ص 365) ، وإبراهيم موسى المصّمودي (التنبكتي، 1989، ص 67) ، وأبو إسحاق العالم الصّالح الزّاهد الوّلي، رئيس الصـــالحين فـــي وقتـــه صـــاحب الكرّامات المأثّورة والدّيانة المشّهورة الوّلي بإجماع، أصله من صنهاجة المغـــرب قـــرب مكناسة، بها ولد ونشأ، قال عنه ابن صعد في النّجم الثاّقب:" كان ممن أوتي الولاية صبياً، وحلّ من ريّاستي العلم والزّهد مكاناً علياً، طلب العلم بفاس، وجاهد في العلـــم والعبـــادات إلى الغاية القصوى ورعاً وزهداً وإيثاراً، مثابراً على البر متبعا طريق السلف (التنبكتـــي، 1989، ص 252) ، سيدي عبد الرّحمن بن محمد بن أحمد الشّريف التلّمساني، المشّهور بأبي يحي الشّريف الإمام العلاّمة المحقّق، كان رحمة الله عليه أية من آيات الله في القيـــام بتحقيق العلوم والإتقان لها ومعرفتها، علامة محققا نظارا حجة".

ولد آخر ليلة تاسع عشر رمضان المعظم سنة سبع وخمســـين وســـبعمائة (ابـــن مـــريم، المصدر السابق ص 127)، كان إمام المغرب قاطبة، قال عنه الإمام بن مـــرزوق، هـــو شيخ شيوخنا أعلم أهل عصره، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بـــن أبي بكر بن مرزوق، الحفيد العجيسي التلمساني فقيه، أصولي مفسر، محدث مجود، لغوي وقد بلغ المكانة القصوى في علوم الشريعة، كما كان من المتصّوفين (السخاوي ، د. ت ، ص 50)، شيخ الشيوخ وآخر النظار الفحول صاحب التحقيقـــات البديعـــة والاختراعـــات الأنيقة والأبحاث الغريبة والفوائد الغزيرة المتفق على علمه وصلاحه وهديه، السيد الزكي الفهامة القدوة، وأبو العباس ابن زاغو، الإمام الفاضل الولي الزّاهـــد الصّـــوفي العلامـــة

المحقق المتقن الناسك العابد المنصف، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، شهر بابن زاغـــو المغراوي التلمساني (التنبكتي، 2000، ص112).

نستنتج ممّا سبق ذكره، انه كسب شهرة وذاع صيته، وأصبحت صدارته في الكثيـــر من العلوم مشهورة حيث برع في علم شتى من تفسير وأصول وفقـــه ومنطـــق وحســـاب وهندسة، فتهافت الطلبة من كل حدب وصوب إلى مجالســـته والانتفـــاع بعلمـــه الـــوفير (رفاف، 2006، ص37) وكان شيوخه يمنحونه فرصة قراءة النصوص من الكتاب أثنـــاء الدرس لذكائه وتفطنه وبراعته الأدبية، قد احتل منزلة مرموقة بين معاصريه ومن تـــبعهم من العلماء والمترجمين له، وهو بذلك من مشاهير المغرب الأوسط.

4. مـــؤلفـــاتـــه:

له تأليف عديدّة منها :"تفسير سورتي الفتح والأنعام"، و"الوسيلة بذات الله وصفاته"، و" شرح العقيدة البرهانية "و"لب الألباب في مناظرة القباب" و "شرح قصيدة ابن ياسمين" وشرح على ابن الحاجب الأصلي"، و"شرح البردة" و" شرح الحوفي في الفرائض" وقال بن صعد "لم يؤلف مثله، شرح التلخيص لابن البناء وغيرها (كحالة، د.ت، ص278)، شهدت نصوص العلماء برفعة قدر الإمام العقباني، فنَعته معاصره ابن فرحون أنه :"إمام عالِم فاضل، فقيه مذهب مالك، متفنِّن في العلوم" (ابن فرحون، 1996، ص244)، ووصفه تلميذه شيخ الإسلام ابن مرزوق الحفيد بأنه "وحيد دهره، وفريد عصره، بقية العلماء الراسخين، ووارث الفضلاء المجتهدين" (ابن مريم، 1986، ص107).

ووصفه الإمام السنوسي واصفا إياه بـــ"الشيخ الإمام العّلامة العلَم ذي الآراء العجيبة والتصرفات الفائقة الغريبة" وواصفاً شرّحه أنه:"تقف عقول النجباء عنده، وأنّه لم يَرَ الرّاعون ولا يرون"، والله أعلم، كما أورد ابن مريم ثناء ومدح هذا العالم وتوجه: "برئيس العلماء والعقلاء..."، وبدوره ابن مخلوف أثني عليه بقوله: "العلاّمة النّظار المتحلي بالوقار الفقيه المتفنن لعلوم شتى، الإمام الفاضل العمدة المحقق الكامل..." (ابن مخلوف،

1349، ص250)، وأولته الدراسات التاريخية المعاصرة العناية، فلم تخلوا دراسة حول العلوم السّائدة في العهد الزياني من ذكره والتعّرض لمناقبه (بوعياد، 1982، ص64).

5. وفـــــــاتـــه:

توفي الإمام سعيد العقباني سنة811هـ/1408م بتلمسان، (ابن مريم، 1986، ص 107)، في عهد السلطاني الزياني محمد بن خوله، الملقب بالواثق بالله (نويهض، 1980، ص139)، ودفن بالمقبرة الواقعة بطريق أبي مدين حيث توجد قبور هذه العائلة، كما يتبين من الكتابة ، التي توجد على شاهد قبره وعبارتها "... الحمد الله وحده والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله، هذا قبر السيد الأفضل الفقيه الأجل التالي، كتاب الله عز وجل سيدي بن السيد الفقيه، المحدث الفصيح البليغ المدرس، محمد العقباني أسكنه الله مسكن الجنان، وتغمده بالرحمة والغفران وتلقاه بالسرور والرضوان، توفي رّحمه الله يوم الثلاثاء عند صلاة العصر، ثاني وعشرين من ذي الحجة سنة 811هـ/ 1409م" (Brossard,1859,p414)، وهي مقبرة السلاطين الزيانيين (ابن مريم، 1986، ص106)، نلاحظ من ما سبق، أنه توفر على صفات عالية ونادرة تدل على نبوغه وعبقرية وملكات فكرية، جعلته محل ثقة حين يكون في مجالس العلم والدرس، لذّا أولته الدرّاسات التّاريخية المعاصرة العناية، فلم تخلو دراسة حول العلوم السائدة في العهد الزياني من ذكره، والتعرض لمناقبه العلمية (بوعياد، 1982، ص64) لذا احتل العلامة منزلة مرموقة بين معاصريه، ومن تبعهم من العلماء والمترجمين له، وهو بذلك من مشاهير المغرب الأوسط، وأول ما يستوقف انتباهنا هو إننا نجد اسمه مقرونا في أكثر الأحيان بالفقيه والعالم، وقد نال ثناء الكثير من علماء عصره، و من جاء من بعدهم.

6. خاتمة:

ان العوامل التي ساهمت في تنشئة وتكوين علماء عاصمة بني زيان "تلمسان" برزوا خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، المواقف للقرنين الرابع عشر والخامس

عشر للميلاد، كانت متنوعة، فقد اعتبرت الأسرة التلمسانية العلم هو السؤدد والطريق الذي يجب ان يسلكه أبناؤها فحثم، وتشجيعهم على طلبه من الشيوخ الذين يجلسون إليهم، أو الرحلة إليهم ، ومعهم أينما وجدوا وحّلوا، والحرية التي كان يتمتع بها في تنقلهم الى الأقطار المجاورة بغية طلب العلم والمعرفة، وكان لهذه الظروف دور في بروز أهمية شيخنا وذلك من خلال انتاجه العلمي والفكري خاصة في العلوم العقلية، ومازلنا نجهل الكثير من مآثر العلامة في الكثير من فنون العلم التي مازالت تحتاج من طلبة الجامعات، وأهل التاريخ المتخّصصين في هكذا مجالات فكرية وعلمية لعلماء أنجبتهم هذه الأرض الطيبة.

7. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين، (1996)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت –لبنان.

الحفناوي ، أبو القاسم، (1906)، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر.

ابن خلدون ، أبو زكرياء يحي، (1980)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنيـــة للنشر والتوزيع، الجزائر.

ابن مخلوف، محمد، (1349)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، اخرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، ج2، ، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

بوعزيز، يحي، 2003، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ط2، دار الغرب، وهران.

الأنصاري، ابو عبد الله محمد، (1967)، فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق محمد العنابي، الطبعة الأولى، تونس المكتبة العتيقة.

حاجيات، عبد الحميد، (1984)، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر.

أبو إبن مريم، عبد الله محمد بن أحمد، (1986)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، نشر: عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر.

حساني نبيلة، (1999)، القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية، رسالة ماجستير (مرقونة)، معهد التاريخ، الجزائر العاصمة.

ابن قنفد، أبي العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب، (1983)، الوفيات، معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة11-807هـ، ط4، حققه وعلق عليه: نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت.

التنسي، محمد بن عبد الله عبد الجليل الحافظ، (1985)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

ابن القاضي، أبي العباس احمد بن محمد المكناسي، (2002)، درة الحجال، تحقيق وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، منشورات دار الكتب العلمية..

الحريري، محمد عيسى،(1987)، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، 610هـ/1213 م-869هـ/1465م، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت..

ابن خلدون، عبد الرحمن، (2004)، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت.

التنبكتي، أحمد بابا، (1989)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج2، اشراف وتقديم:عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه:طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج7، دار الجيل، بيروت.

التنبكتي، (2000م)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية.

رفاف، شهرزاد، (2006)، أبو عثمان سعيد العقباني (تـ 811هـ/1408م)، حياته وأثاره، مذكرة في التاريخ الإسلامي، جامعة بشار.

كحالة، عمر رضا ، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، ج1، مؤسسة الرسالة.

بوعياد، محمود، (1982)، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن9هـ/15م، الشركة الوطنية، الجزائر.

نويهض، عادل، (1980)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، ط2، مؤسّسة نويهض للثّقافة، بيروت.

المراجع باللغة الاجنبية:

Brossard, (CH): (1859).les inscriptions arabes de tlemcen,revue africaine n°14-3éme.alger.